صدمة المدرسة وطفل الروضة

وضع العربة أمام الحصان ! إلى متى ؟

إعداد

أ.د/ جابر محمود طلبه

أستاذ تربية الطفل

رئيس قسم رياض الأطفال
مدير مركز رعاية وتنمية الطفولة
جامعة المنصورة

مجلة رعاية وتنمية الطفولة - جامعة المنصورة

العدد (٣) – المجلد (١) – ٢٠٠٥م

صدمة المدرسة وطفل الروضة
وضع العربة أمام الحصان ! إلى متى ؟
(قضية للمناقشة)

قال تعالى " ادخلوها بسلام آمنين " (الحجر/ ٤٦)

مقدمة :

فجأة ، وبعد حياة اللعب والمرح والأنشطة التربوية المحببة التي عاشها الطفل- من خلال اللعب التربوى - في رياض الاطفال ، يجد الطفل نفسه قد انتقل إلى حياة أخرى في الصف الأول من المدرسة الابتدائية بتنظيماتها الرسمية ، وعلى الطفل أن يجيد القراءة والكتابة والحساب في كتب مدرسية وفق تعليم مدرسي تقليدي دون أن يكون مستعدا لذلك تمام الاستعداد ، وكأن لسان حاله يقول (ما أنا بقارئ) ، وهنا تحدث الصدمة النفسية الكبرى أمام الطفل الذى اخذ من الدار للنار كما يقولون ، إنها (صدمة المدرسة) حيث تنخفض الروح المعنوية ويرفض الطفل المدرسة وينفر من هذا التعليم المدرسي، وتحتار الأسرة ماذا تفعل في هذه الورطة ؟

ويمكن الانطلاق في طرح هذه القضية (صدمة المدرسة) للمناقشة من بعض المنطلقات الفكرية والمقدمات الواقعية التي يعكسها (الواقع) الراهن لتربية طفل (المستوى الثاني) في رياض الأطفال ، وكذا (المنتظر) حدوثه عند انتقال هذا الطفل إلى (الصف الأول) في المدرسة الابتدائية .

أولا : بالنسبة لتربية الطفل في (المستوى الثاني) من رياض الأطفال

١- أن معظم – إن لم يكن كل – رياض الاطفال ، تتعامل مع طفل هذه المرحلة عبر كتب الأنشطة التربوية ذات الخبرات المتكاملة ، وليس بالضرورة أن

يتعلم الطفل القراءة والكتابة والحساب كتعليم مدرسي (أو منهجي) ، ولكن يستعاض عن ذلك بمنهج الأنشطة التربوية والخبرات المتكاملة الذي يمكن أن يهيئ الطفل لتقبل التعليم في المدرسة الابتدائية .

٢- أن الطفل في المستوى الثاني من رياض الأطفال ، مازال ينظر إليه على أنه طفل صغير يلعب ويرتع ليعيش طفولته الحقيقية في مرحلة الطفولة المبكرة بكل مباهجها من أنشطة الفرح والمرح والمتعة والتعلم ، فما الطفل طفلا إلا ليلعب وما اللعب لعبا إلا لكل طفل ، فاللعب التربوى – كنشاط تلقائي نابع من اهتمامات الطفل الداخلية – يمثل مهنة الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة

٣- ان الفكر التربوي في مجال الطفولة المبكرة يدعم هذا التوجه التربوى الذي ينظر إلى الروضة كبيئة تربوية اجتماعية تكمل البيت في تربية الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة ، وان الروضة تمثل امتدادا علويا لمعطيات مناخ الأسرة ذات الحيثيات التربوية ، أكثر منها امتداد سفلي لمعطيات مناخ المدرسة الابتدائية التي لها حيثياتها التعليمية .

٤- أن معلمات رياض الاطفال اللاتى تم إعدادهن في أقسام وكليات رياض الاطفال في الجامعات المصرية ، يقمن بأدوارهن التربوية المتجددة تجاه الطفل والأسرة والمجتمع في ضوء فلسفة تربية الطفل في الطفولة المبكرة ، وفقا لما تم تدريبهن عليه في البرنامج التربوى الثقافي المهني في كليات وأقسام كليات رياض الاطفال ، كما يبذلن كل ما في وسعهن لتحقيق هذه الفلسفة التربوية وتحويلها إلى واقع ملموس في تربية الطفل .

٥- أن أولياء أمور الاطفال الذين يمثلون الجناح الثاني من المعادلة التربوية لطفل ما قبل المدرسة لهم دور تربوي حيوي ، فالآباء والأمهات من ذوي الشراكة التربوية (يتوقعون) اندماجا تربويا في تربية الطفل في رياض الاطفال بشكل أو بآخر ، وكلما كان التكامل التربوى بين الأسرة والروضة

وثيقا وفي اتجاهات متبادلة لتقسيم الأدوار التربوية كان العائد من تربية الطفل كبيرا وذو جود عالية في مرحلة الطفولة المبكرة .

٦- ان رياض الأطفال تعمل وفق برنامج تربوي هادف يقوم على تهيئة مواقف تربوية واجتماعية محببة للأطفال يتعلمون من خلالها – دون ضغط أو إكراه – بعض المعلومات والحقائق والمفاهيم والمهارات والاتجاهات وأنماط السلوك المناسبة لاستيعاب هؤلاء الاطفال ، بما يساعدهم على تحقيق ذواتهم الطفولية بكل امتلاء في إطار ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه أطفالا إنسانيين من أجل مستقبل أفضل .

٧- ان الناتج النهائي لمخرجات مؤسسات رياض الأطفال يتمثل في تخريج أكبر عدد ممكن من الاطفال الذين اكتسبوا المواصفات الإنسانية وفقا لخصائص ومتطلبات تربية الطفل في هذه المرحلة المبكرة من العمر ، أطفال قد تم تحميلهم ببعض من عناصر ثقافة الطفل التي تمثل ثقافة فرعية من ثقافة المجتمع ، ليتفاعلوا بها ومن خلالها وينتجونها في أثناء اندماجهم في المجتمع من أجل الدخول التدريجي في عالم الكبار في إطار عملية التنشئة الاجتماعية .

توقعات بداية قضية الصدمة في رياض الاطفال

دعونا نتعمق أكثر في القضية المطروحة (صدمة المدرسة وطفل الروضة) من قبل رياض الاطفال (قبل) أن يصاب الطفل بها ، وذلك على النحو التالي :

١- أن مديرات ومعلمات رياض الأطفال بما يقمن به من أنشطة تربوية واجتماعية تجاه أطفال هذه الرياض ، (يتوقعن) أن يستمر هذا الدفع الإنساني والزخم التربوي تجاه تربية الطفل في المدرسة الابتدائية ، كما كان عليه الحال التربوي في المستوى الثاني من رياض الاطفال .

٢- أن معظم الاطفال في المستوى الثاني لرياض الاطفال ، (يتوقعون) – دون أن يبوحوا – أن تتواصل العلاقات الإنسانية الإيجابية التي اتبعت معهم في رياض الاطفال مع استمرار اتباعها معهم في المدرسة الابتدائية ، وان الأنشطة التربوية التي مارسوها في الروضة عن رغبة واشتياق ، سوف تستمر معهم عندما ينتقلون إلى الصف الأول من المدرسة الابتدائية .

٣- أن أولياء أمور الأطفال الذين تعودوا على مناخ تربوي معين يعيش فيه طفل الروضة ، (يتوقعون) أن يستمر وجود هذا المناخ التربوي السائد في رياض الأطفال متواصلا في المدرسة الابتدائية ، وأن يكون لهم أدوارا مساندة لتحقيق التكامل في الأنشطة التربوية في المدرسة الابتدائية ، كما كان يتم معهم – هذا التكامل – إبان وجود طفلهم في رياض الاطفال .

وبناء على ما سبق ، فإن معظم التوقعات من قبل معلمات وأطفال وأولياء الأمور ذوي العلاقات التربوية بالروضة ، تصب جميعها في اتجاه أن الغد التعليمي (في المدرسة الابتدائية) سوف يكون أفضل من اليوم التربوي (في رياض الاطفال) ، وأن الجميع يحدوهم الأمل في استمرار تمتع الطفل ببهجة التعلم المفعمة بجودة تربية الطفل وإنسانيتها في المدرسة الابتدائية .

ثانيا : بالنسبة لتعليم الطفل في (الصف الأول) من المدرسة الابتدائية

١- أن معظم – إن لم يكن كل – المدارس الابتدائية تتعامل مع طفل الصف الأول من المدرسة الابتدائية عبر الكتب المدرسية المقررة ، وعلي الطفل أن يكون ملما بالقراءة والكتابة والحساب ليستطيع قراءة المقرر له من قبل وزارة التربية والتعليم ، حيث يتوقف تقييم الطفل على مدى إتقانه القراءة والكتابة والحساب من عدمه .

٢- أن الطفل في الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، ينظر إليه على أنه تلميذ يتعلم مقررات مدرسية رسمية وفقا للطرق المدرسية التقليدية ، وعليه أن يقرأ ويكتب ويحسب وفقا للمقرر المدرسي المقرر على جميع الاطفال ، وأن اللعب التربوي للطفل ليس له مكان سوى في حصص التربية الرياضية أو الألعاب كما يسمونها .

٣- أن الفكر التربوي في مجال التعليم المدرسي ، يدعم التوجه المدرسي لتعليم الطفل تعليما مدرسيا بداية من الصف الأول الابتدائي ، على أن يراعى التدرج في عملية التعليم المدرسي (المنهجي) بما يناسب طبيعة الطفل وقدرته على الاستيعاب ، على أساس أن التعليم الابتدائي يمثل قاعدة التعليم الرسمي العام (الابتدائي والإعدادي والثانوي) .

٤- أن معلمات الصفوف الأولى من المدرسة الابتدائية ، اللائي تم اعدادهن في معاهد المعلمين والمعلمات (سابقا) أو في شعب التعليم الابتدائي في كليات التربية بالجامعات المصرية ، يقمن بأدوارهن التعليمية والمدرسية المنوطة بهن تجاه التلميذ والأسرة والمجتمع ، وفقا لما تم إعدادهن عليه في البرنامج الأكاديمي / الثقافي / المهني في مؤسسات الإعداد الجامعية .

٥- أن أولياء أمور تلاميذ الصف الأول الابتدائي (يتوقعون) تعليم أبنائهم تعليما مدرسيا ، وفقا لما تم لأبنائهم السابقين تعليما وامتحانا ونقلا في مراحل التعليم المختلفة ، فالمدرسة في نظرهم هي المؤسسة التعليمية المنوط بها تعليم التلاميذ وفق المناهج التعليمية المقررة على الصفوف الدراسية المتوالية من المدرسة الابتدائية .

٦- أن المدرسة الابتدائية تعمل وفق برنامج تعليمي محدد سلفا ، يقوم على تقسيم المقررات إلى فصلين دراسيين وشهور وأسابيع وأيام ، وعلى التلاميذ أن يستوعبوا المقررات الدراسية المقررة عليهم وفق الخطط الدراسية ، لأداء الامتحانات الأسبوعية والشهرية والفصلية المحددة في مواعيدها ، وعليهم

أن ينتقلوا إلى الصف الأعلى في المدرسة الابتدائية بنجاح معين تظهره الشهادات المدرسية المعتمدة التي تمنح لهم كرخصة للانتقال إلى المراحل التعليمية التالية .

٧- أن الناتج النهائي لمخرجات المدرسة الابتدائية في إطار منظومة التعليم في مصر ، يتمثل في تخريج أكبر عدد ممكن من تلاميذ الصفوف المدرسية بنجاح معين حفظا وتلقينا واستظهارا ، ولا مانع أن يساعد التلميذ بشكل مباشر (مجموعات تقوية) بالمدارس أو بشكل غير مباشر (دروس خصوصية) في سبيل تحقيق معدل النجاح الدراسي المطلوب للنقل إلى الصفوف التالية من المدرسة الابتدائية .

توقعات قضية الصدمة في المدرسة الابتدائية

دعونا نتعمق أكثر في القضية المطروحة (صدمة المدرسة وطفل الروضة) من قبل المدرسة الابتدائية (بعد) أن يصاب بها الطفل ، وذلك على النحو التالي :

١- أن مديري ومعلمات المدرسة الابتدائية بما تعودوا عليه من أنشطة تعليمية ومدرسية تجاه تلاميذ المدرسة الابتدائية (يتوقعن) أن تقوم رياض الاطفال بتجهيز أطفالها لإتقان مهارات القراءة والكتابة والحساب ، ليتمكنوا من استمرار التعليم المنهجي في الصف الأول وما يتلوه من صفوف دراسية من المدرسة الابتدائية .

٢- أن معظم تلاميذ الصف الأول من المدرسة الابتدائية – الذي كانوا أطفالا في المستوى الثاني من رياض الأطفال – (يتوقعون) أن تستمر العلاقات الإنسانية الإيجابية التي ألفوها في رياض الاطفال كما هي في المدرسة الابتدائية ، وان الاختلاف- ربما الوحيد – سيكون في اختلاف المكان والزمان والتلاميذ والمعلمات والكتب الجديدة ، وان إنسانية التعامل الاجتماعي معهم التي سادت الروضة سوف تستمر في المدرسة الابتدائية .

٣- أن أولياء أمور تلاميذ الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، (يتوقعون) أن يكون لأبنائهم مناخا أليفا في المدرسة الابتدائية كما كان عليه الحال في رياض الاطفال ، رغم أنهم يتوقعون عمليات تعليمية ومدرسية مختلفة في صفوف المدرسة الابتدائية عما كان عليه الطفل في الروضة ، فالتعليم في المدرسة الابتدائية غير التربية في سنوات رياض الاطفال خلال الطفولة المبكرة .

وبناء على ما سبق ، فإن معظم التوقعات من قبل معلمات وأولياء أمور أطفال الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، تصب جميعها في اتجاه أن اليوم التعليمي (في المدرسة الابتدائية) مختلف عن الأمس التربوي (في رياض الاطفال) فيما يتعلق بعملية التعليم ، وأن الجميع يحدوهم الأمل في تحقيق التلاميذ لمستويات إنجاز تحصيلي أفضل في التعليم المدرسي .

ثالثا : النتائج المتوقعة لاستمرار قضية صدمة المدرسة وطفل الروضة

هناك مجموعة من النتائج المتوقعة نتيجة التعارض والتناقض في فلسفة العمل التربوي مع الاطفال في رياض الاطفال ، وفلسفة العمل التعليمي مع التلاميذ في الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، ولا سيما أن الخاسر الوحيد من وجود هذا التناقض في هذه القضية هو الطفل الصغير ، الذي يقع فريسة للتخبط والتعارض في صنع السياسات التربوية واتخاذ القرار التربوي في مجال العلاقة بين رياض الاطفال والمدارس الابتدائية .

كما يضاف إلى ذلك ، أن معظم الأطفال وأسرهم يشعرون بأنهم قد وقعوا في (شرك) من وهم التمني بوجود المناخ التربوي الأفضل في المدرسة الابتدائية ، وأنهم قد سقطوا من مستوى إنساني أعلى إلى مستوى إنساني أدنى ، فقد خاب ظن الجميع في استمرار المناخ التربوي السائد في رياض الاطفال ، وأصبحوا أمام أمر واقع وعليهم أن يقبلوه غصبا ، فلا اختيار تربوي مع الإجبار المدرسي .

ليس هذا فحسب ، ولكن يمكن أن تكون الخسارة التي يتعرض لها الطفل متجسدة في وجود مظهر أو أكثر من مظاهر الصدمة المدرسية التالية :

١- انخفاض الروح المعنوية لمعظم الاطفال في الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، الذين (غرر بهم) من قبل الكبار بأن انتقالهم إلى هذه المدرسة ووجودهم فيها سوف يكون أفضل في الممارسة التربوية من الروضة ، دون أن يجدوا ذلك متجسدا على أرض الواقع الذي يعيشونه في مناخ المدرسة الابتدائية .

٢- اكتئاب بعض أطفال الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، وشعورهم بالاغتراب التربوي والتشاؤم النفسي بين ما كان في الروضة وما هو كائن في المدرسة الابتدائية ، نتيجة (لتخلي الكبار) عنهم وخزلانهم لهم سواء كان هؤلاء الكبار معلمات أو آباء أو أمهات ، وتركهم وحدهم يواجهون واقعا جديدا من التعليم المدرسي لم يعدوا له أعدادا كاملا ولم يتوقعوا حدوثه .

٣- شعور بعض الاطفال بحالة من العجز المتعلم أو المكتسب نتيجة لتكرار الخوف من العقاب الذي يتعرضون له ضربا وإساءة وقهرا ، وذلك لانخفاض مستواهم التحصيلي في بعض أو كل المقررات الدراسية في الصف الأول في المدرسة الابتدائية ، وفقا للامتحانات التقليدية المتبعة في هذا الشأن والتي تقيس في معظمها عمليات الحفظ والاستظهار .

٤- اتجاه بعض الأطفال إلى رفض الذهاب إلى المدرسة بشكل أو بآخر ، حيث يظهر الطفل بعض أنماط السلوك الرافضة للإقبال على المدرسة ، كإدعاء المرض والألم ورفض الطعام والتقيء والتبول اللاإرادي وغيرها من الحجج والمبررات التي يخفون ورائها رفضهم للمدرسة .

٥- اتجاه بعض الاطفال إلى النفور النفسي من عملية التعليم المنهجي في المدرسة الابتدائية ، نتيجة للضغوط المدرسية والتعليمية الواقعة على هؤلاء الاطفال

وأسرهم ، الأمر الذي قد يكون سببا جوهريا من أسباب الهروب المتكرر للتلميذ من الذهاب إلى المدرسة ، ثم التسرب من التعليم المدرسي لينضم إلى جيش الأمية الأبجدية فيما بعد .

والسؤال الرئيسي الذي يطرحه صاحب القضية يتمثل في :

هل أن صدمة انتقال طفل المستوى الثاني من الروضة إلى الصف الأول من المدرسة الابتدائية وتأثيراتها التربوية والاجتماعية والنفسية على الطفل والأسرة والمجتمع ترجع إلى :

١- عدم وجود برامج تربوية مخططة لانتقال أطفال الروضة إلى المدرسة الابتدائية تقوم أساسا لتنمية الاستعداد المدرسي لطفل الروضة ، تحدد فيها أدوار الأسرة والروضة وغيرها من مؤسسات المجتمع ؟

٢- ضعف إدراك مديرات ومعلمات رياض الأطفال ، بأهمية تنمية استعداد الطفل لدخول المدرسة الابتدائية ، ومن ثم وضع أيديهم في مياه باردة فيما يتعلق بعملية الانتقال من الروضة إلى المدرسة(تهيئة وإرسالا) ؟

٣- ضعف إدراك معلمات الصفوف الأولى من المدرسة الابتدائية ، بأهمية تنمية استعداد الطفل لدخول المدرسة الابتدائية ، ومن ثم وضع أيديهن في مياه باردة فيما يتعلق بعملية الانتقال من الروضة إلى المدرسة تهيئة واستقبالا ؟

٤- اختلاف التوقعات المستقبلية من قبل الأسرة والروضة والمدرسة حول الانتقال من الروضة إلى المدرسة ، وكذا اختلاف التنبؤات المستقبلية حول مسيرة الطفل التعليمية في الصف الأول من المدرسة الابتدائية ؟

٥- تسكين معظم رياض الاطفال في المدارس الابتدائية الحكومية والخاصة كفصلين أو أكثر من فصول المدرسة الابتدائية ، ومن ثم فإن وجود أطفال هذه

الرياض في مناخ مدرسي يدفع أولياء الأمور لطلب التعليم المدرسي لأطفالهم دون إدراك لعواقب هذا التسرع التعليمي على مستقبل الطفل ؟ .

وإذا كانت وزارة التربية والتعليم في مصر ، مسئولة عن (برامج) رياض الاطفال الملحقة بالمدارس الابتدائية الحكومية والخاصة وفقا للقرار الوزاري رقم (١٥٠) لسنة ١٩٨٩م ، ومسئولة أيضا عن مناهج المدرسة الابتدائية وفقا لقانون التعليم رقم (٢٣٣) لسنة ١٩٨٨م ، فإنها مسئولة بالتبعية مسئولية قانونية وتربوية وأخلاقية عما يحدث لأطفال المستوى الثاني من رياض الاطفال من صدمات عندما ينتقلون إلى الصف الأول من المدرسة الابتدائية دون تهيئة في بيئات الإرسال (رياض الأطفال) أو في بيئات الاستقبال (المدارس الابتدائية) ، وعليها أن تبحث عن حل هذه القضية التربوية الخطيرة ، باعتبار أن كرة الصدمة في ملعبها التربوي .

ليس هذا فحسب ، ولكن ليس معنى ذلك إلقاء اللوم على وزارة التربية والتعليم وحدها في قضية صدمة المدرسة وطفل الروضة ، ولكن المعنى المقصود هنا يتمثل في ضرورة تضافر الجهود الرسمية والأهلية والبحثية ، وصولا إلى حل علمي وعادل لقضية تربوية اجتماعية نفسية شائكة ، مازالت تدور رحاها أمام أعين الجميع (مربين وتربويين ومسئولين) دون أن يستطيع أحد أن يقدم لها حلا موضوعيا إلى الآن ! ومن ثم ، فما زالت صدمة المدرسة الابتدائية ماثلة أمام أطفال الروضة الذين انتقلوا إلى هذه المدرسة وحتى إشعار آخر .

والأسئلة التي تطرح نفسها على بساط البحث :

١- أين الخلل في قضية انتقال أطفال المستوى الثاني في رياض الاطفال إلى الصف الأول من المدرسة الابتدائية وشعورهم بصدمة المدرسة ؟

٢- هل نصدق الطفل عندما يقول لسان حاله : (قبل إلقائي في البحر علموني العوم) ، (لا تعطوني سمكا ولكن علموني كيف أصطاده) ؟

٣- كيف نساعد هؤلاء الاطفال على تفادي حدوث الصدمة المدرسية التي تواجههم في بداية حياتهم الدراسية ؟.

٤- إلى متى تظل العربة أمام الحصان في قضية صدمة المدرسة وطفل الروضة ؟

إنها دعوة للمناقشة في

قضية تربوية اجتماعية نفسية بالغة الأهمية

(صدمة المدرسة وطفل الروضة)

الخاسر الأكبر فيها هو الطفل .

فهل من صدى لهذا الندا ؟